العتبة العباسية المقدسة
قسم الشؤون الفكرية والثقافية
إذاعة الكفيل

سلسلة من حلقات برامج إذاعة الكفيل

صوت المرأة المسلمة

كمال الروح

إعداد

نور عبد الرضا

كربلاء المقدسة

FM-95.3MHZ

النجف الأشرف

FM-103.9MHZ

ذي قار

FM-95.3MHZ

radio@alkafeel.net

الكتاب: كمال الروح.

الإعداد: نور عبد الرضا.

المونتاج الاذاعي: زينة ابو طحين.

الناشر: قسم الشؤون الفكرية والثقافية في العتبة العباسية المقدسة/ شعبة إذاعة الكفيل.

التصميم: علاء سعيد الأسدي.

الاخراج الطباعي: شيماء سامي.

التدقيق اللغوي: موفق هاشم الرحال.

المطبعة: مطبعة دار الكفيل.

الطبعة: الأولى.

عدد النسخ: ٢٠٠٠

شعبان ١٤٣٥-حزيران ٢٠١٤م

مُقَدِّمَة

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلّى الله على محمدٍ وآله الطاهرين وسلامٌ على أصحابه البررة المنتجبين واللعن الدائم على أعدائهم أجمعين الى قيام يوم الدين.

أما بعد:

لايخفى أنَّنا مازلنا بحاجة الى تكريس الجهود ومضاعفتها نحو نشر المفاهيم الأخلاقية والتربوية، وترسيخ المفاهيم الإيمانية التي تضمنتها رسالة الإسلام لبناء الفرد بناءً فعلياً حقيقياً؛ ليكون انطلاقةً سليمة لبناء ذلك الكيان الإنساني الشامخ الذي ماهو إلّا اللّبنة الأولى لبناء مجتمع إسلامي راسخ البنيان، عتيد المراسي.

لذا ومساهمةً في ذلك جاءت برامج إذاعة الكفيل صوت المرأة المسلمة كسبيل للوصول إلى ذلك، وقد أخذت هذه البرامج طريقها إلى أسماع الكثيرين عبر أثيرها وعبر شبكة الإنترنت العالمية صوتاً، ولأجل تعميم الفائدة إرتأت الإذاعة إيصال برامجها كتابياً الى أيدي الذين لم يسعفهم الوقت لسماعها، وذلك بطباعة بعض من برامجها وإصدارها كراريَس.

الحلقة الأولى

القلب في القرآن

القلب في القران

للقلب مكانة خاصة في القران الكريم... والمراد به هنا ذلك الجوهر المجرد الذي ترتبط به إنسانية الإنسان، لذا تُنسب إليه الأعمال النفسية من قبيل التعقل والإيمان والكفر والنفاق والهداية والرحمة والغفلة وغيرها من الحالات التي ورد ذكرها في القرآن الكريم، حيث قال تعالى في كتابه الكريم: ﴿**أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا**﴾[١]، وقوله تعالى: ﴿**أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ**﴾[٢].

سلامة القلب في القران

إنَّ كل أعمال الإنسان تنبع من قلبه، ولذا هو مفتاح السعادة، ومن الضروري أن يعتني به؛ لأنَّه قد يصاب بالمرض، يقول تعالى: ﴿**فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللهُ مَرَضًا**﴾[٣] والأمراض، التي تصيب القلب كثيرة كالكفر والنفاق والتكبر والحقد والغضب والعجب

(١) الحج ٤٦.

(٢) المجادلة ٢٢ .

(٣) البقرة ١٠.

والخوف وسوء الظن وقول السوء والقساوة وحُبّ الجاه وغيرها من الصفات السيئة، قال تعالى: ﴿**وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَى رِجْسِهِمْ**﴾(١). وقد يكون القلب سليمًا من الأمراض كما جاء في قوله تعالى: ﴿**يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ**﴾(٢)، ولا بُدَّ أن نؤكد لكم أنَّ أمراض القلب ذات أثر خطير؛ لأنَّه إذا كانت أمراض البدن يقتصر ضررها على الدُّنيا فإنَّ أمراض القلب يعمّ ضررها على الدُّنيا والآخرة معاً وتوقع الإنسان في الشقاء الأبدي، فإنَّ الإيمان والعمل الصالح وحُسن الأخلاق كل ذلك يُنير القلب ويدفع عنه المرض، في حين أنَّ الكفر والعمل السيء وسوء الأخلاق يؤدي إلى اسوداد القلب وإصابته بالآفات، فعن الإمام الباقر عليه السلام قال: «**القلوب ثلاثة: قلبٌ منكوس لا يعتبر على شيء من الغير وهو قلب كافر، وقلبٌ فيه نكتة سوداء فالخير والشر يعتلجان فما كان منه أقوى غلب عليه وقلب مفتوح فيه مصباح يزهر فلا يطفأ نوره إلى يوم القيامة وهو قلب المؤمن**» فيكون القلب في بداية الأمر مستعداً لإستجابة نداء الفطرة فإن لبّى النداء أصبح قلباً نورانياً يضئ في مصباح الإيمان، أما إذا تجاهل نداء فطرته وخالف ميول الخير لديه فإنَّ هذا القلب

(١) التوبة ١٢٥.

(٢) الشعراء ٨٩.

سوف تخيّم عليه الظلمة وتعرض عليه القسوة شيئاً فشيئاً، فإذا أردنا أن نحافظ على سلامة قلوبنا ونتجنَّب الأمراض فلابُدَّ من الطبيب الحاذق، وأطباء القلوب هم الأنبياء عليهم السلام؛ لأنَّهم العارفون بحقيقة القلوب وما يصلح لها وطرق علاجها، ولذا يتحدث أمير المؤمنين عليه السلام عن خاتم الانبياء صلى الله عليه وآله، فيقول: «**طبيبٌ دوّارٌ بطبِّه قد أحكم مراهمه وأحمى مواسمه يضع من ذلك حيث الحاجة إليه**». **فعلى الإنسان** تصفية القلب من الأمراض والأخلاق السيئة و آثار الذنوب وعلينا تكميل النفس وترتيبها بالمعارف والحق ومكارم الأخلاق والعمل الصالح، يقول أبو بصير أحد أصحاب الإمام الصادق عليه السلام «كان أحد أعوان وعمال السلاطين جاراً لي، كانت كل أمواله من الحرام ومنزله مركز فسادٍ ولهوٍ ولعبٍ كنتُ أتأذى من جيرته نصحته مراراً دون فائدة، ذات يوم أصررت عليه كثيراً فقال: لقد أصبحتُ أسيراً للشيطان، اعتدت على اللهو والمعصية ولا أستطيع تركها، مريضٌ ولكني لا أستطيع معالجة نفسي، أنت جارٌ جيد لكني لك جار سيئ ماذا أفعل؟ أنا أسير الهوى ولا أستطيع أن أجد طريقاً للنجاة، إذا زرت الإمام الصادق عليه السلام اخبره بحالي لعلّه يرشدني إلى طريق النجاة، يقول أبو بصير تأثرتُ لكلامه، صبرت برهةً حتى قصدت الإمام الصادق عليه السلام في

المدينة، عندما تشرّفت بلقائه ذكرت له القصة، فقال عليه السلام: «**إذا رجعت إلى الكوفة قل له: يقول لك جعفر بن محمد: «أخرج مما أنت فيه وأنا أضمن لك الجنة»**، يقول أبو بصير: بعد أن انتهيت من كل أعمالي رجعت إلى الكوفة وكان الناس يأتون لزيارتي إلى أن جاءني الرجل زائراً بعد سؤاله عن أحوالي، إعتذر هاماً بالإنصراف أشرت له بالبقاء لوجود أمر أريد التحدث بشأنه، عندها فرغ المنزل من الزائرين قلت له: ذكرتُ قصتك للإمام الصادق عليه السلام فطلب مني إيصال سلامه إليك وأن أُبلغك بعبارته: «**أخرج مما أنت فيه وأنا أضمن لك الجنة**»، دخل كلام الإمام عليه السلام إلى قلبه فبدأ بالبكاء، ثم أقسم عليَّ للتأكد من صحة الحديث فأقسمتُ، ثم قال: هذا كاف ثم خرج ولم أسمع عنه شيئاً لأيامٍ خلت، بعدها أرسل خلفي فذهبت إليه وطرقت الباب فأجابني من خلف الباب: يا أبا بصير أعدت كل الأموال لأصحابها وحتى الألبسة التي كانت لدي وأنا الآن عارٍ، يا أبا بصير لقد عملت بحسب أمر الإمام الصادق عليه السلام وتركت كل المعاصي يقول أبو بصير: تأثرت لكلامه وتوبته وتعجبت لمدى تأثير كلام الأمام الصادق عليه السلام فيه، عدت إلى منزلي وجهَّزتُ له شيئاً من الطعام وبعض الألبسة، وأخذتها له، بعد مدة أرسلَ خلفي فذهبتُ لأجده مريضاً عليلاً بقيت أعوده مدة من الزمن لم ينفع العلاج

معه في شيء حتى اشتد المرض عليه، جلستُ بقربه وكان غائباً عن الوعي وفجأةً فتح عينيه وقال: يا أبا بصير لقد وفّى الإمام الصادق عليه السلام بوعده، قال هذا وفارق الدُّنيا، وبعد مدة وُفِّقتُ للحج وزرت الإمام الصادق عليه السلام، وبعد أن وطأت عتبة داره ناداني عليه السلام وقال: «**يا أبا بصير لقد وفيت وعدي لجارك وأعطيته الجنة التي وعدت**»».

فلا بُدَّ من التصميم على العلاج، فبعد معرفة العيوب والأمراض ينبغي أن لا نستصغرها وأن نبادر بعزمٍ على علاجها، فنحذر مكر الشيطان الذي يحاول بشتى الوسائل أن يثنينا عن القيام بمهمتنا فقد يوحي لنا الشيطان بأنَّ هذا العيب موجود في الآخرين حتى يقلل لنا من أهميته، في حين أنَّ مرض الآخرين لا يبرر أن أكون مريضاً مثلهم، بل قد يسوّل لنا الشيطان بأنَّ السوء الفلاني هو مما اعتدنا عليه أو أنَّ الله سوف يغفره، في حين أنَّ العادة قابلة للتغيير والتبديل، ففي مثل هذه الحالات علينا أن لا نأبه لأي وسوسة شيطانية بل لا بُدَّ من المبادرة فوراً لعلاج العيوب والسعي بعزمٍ أكيد لتهذيب نفوسنا وإذا ما سارع الإنسان إلى العلاج وأصرَّ على التغلب على النفس الأمّـارة بالسوء وذلك لإخضاعها لإرادة العقل والشرع معاً فعندئذ تأمن حياة الإنسان دنيا وآخرة وتعمر بالسعادة الحقيقية الكاملة.

الحلقة الثانية

التوبة

التوبة

إنَّ أفضل الطرق للتزكية هو عدم التلوث بالمعصية من الأساس، يقول الإمام علي عليه السلام: «**تركُ الذنب أهون من طلب المعصية**».

لكن لو فرضنا أنَّ الإنسان أُبتلي بالمعصية فيجب ألّا ييأس من رحمة الله تعالى، لأنَّه قد فتح لعباده باب التوبة فالتوبة هي من المهذبات للنفس وهي الوسيلة لغسل النفس من قذارات الذنوب، وهي عبارة عن التصميم على ٱجتناب الذنوب والمعاصي والندم عليها والحذر الشديد من الشيطان وإغراءاته الذي يدعونا بٱستمرار للإستهانة بالمحرمات والمعاصي والعودة إليها، وقد شجع الإسلام على التوبة وحذّر من اليأس بقوله تعالى: ﴿**قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللهِ إِنَّ اللهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا**﴾[1].

حقيقة التوبة وشروطها

إنَّ الندم على الذنب هو توبة، لكن هنا يكمن المقصود، الندم الحقيقي الذي يكون له آثاره ونتائجه على المستوى العملي، قد يتصور بعضنا إنَّ مجرد قوله: «**تبتُ إلى الله**» يكفي لتحقق التوبة وهو غير صحيح

(١) الزمر ٥٣.

لأنَّ التوبة لها شروط لا تتحقق إلّا بها وهي:

أ. أن يشعر الشخص بالفور بذنبه وتغلبه الحسرة عليه.

ب. أن يصمم الشخص على عدم العودة إلى الذنب مجدداً.

ج. أن يسعى الشخص لجبران ما أمكن جبرانه كأن يؤدي حق أحدٍ من الناس كان قد غصبه حقه، أو أن يطلب المسامحة ممن آستغابه أو أن يُرضي من ظَلمه أو أن يقضي ما فاته من فرائض وواجبات كالصلاة والصوم وغيرها.

يقول الإمام علي عليه السلام بعد أن سمع قائلاً يقول أستغفر الله: «**ثكلتك أمك، أتدري ما الإستغفار؟ الإستغفار درجة العليّين، وهو آسم واقع على ستة معان، أولها الندم على ما مضى، والثاني العزم على ترك العودة إليه أبداً، الثالث أن تؤدي إلى المخلوقين حقهم حتى تلقى الله أملساً ليس عليك تَبِعة، الرابع أن تعمد إلى كل فريضة عليك ضيّعتها فتؤدي حقها، الخامس أن تعمد إلى اللحم الذي نبت على السحت فتذيبه بالأحزان، حتى يلصق الجلد بالعظم وينشأ بينهما لحمٌ جديد، السادس أن تُذيقَ الجسم ألم الطاعة كما أذقته حلاوة المعصية، فعند ذلك تقول أستغفر الله**».

إذا كنّا ندرك تلك الآثار الخطيرة للذنوب في الدُّنيا والاخرة كأن

تنزل النقم وتحبس النعم وتمنع الرزق وتجرّنا إلى العذاب الأليم، فإنَّ العاقل المؤمن بالمعاد وبرب العباد لابُدَّ أن يبادر إلى إعلان توبته وتطهير نفسه حتى لا يكون محروماً في الدُّنيا وشقياً في الآخرة، وأنَّ التوبة من الذنوب تؤدي إلى تطهير القلوب، عن أبي جعفر عليه السلام: «**ما من عبدٍ إلّا وفي قلبه نكتة بيضاء، فإذا أذنب خرج في النكتة نكتة سوداء، فإن تاب ذهب ذلك السواد، وإن تمادى في الذنوب زاد ذلك السواد حتى يغطي البياض، فإذا غطّى البياض لم يرجع صاحبه إلى خيرٍ أبداً وهو قول الله: ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾**[1]».

الأمور الموجبة للتوبة

يجب على الإنسان أن يتوب من كل ما يحول بينه وبين السير والسلوك إلى الله تعالى ويجعله متعلقاً بالدُّنيا، ويمكن تقسيم الذنوب إلى قسمين: أ.الذنوب العملية:

وهي كل الذنوب التي ترتبط بالأعمال كالسرقة، وقتل النفس، والزنا، ودفع الربا وأخذه، وغصب أموال الناس، والغش في المعاملة، وخيانة الأمانة، وشرب الخمر، وترك الصلاة والصيام والحج والخمس،

(١) المطففين ١٤.

وترك الامر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأكل الطعام الغير محلل وغيرها من المحرمات.

ب. الذنوب الأخلاقية:

والمراد بها الأخلاق السيئة والصفات القبيحة التي تلوث النفس وتجعل الحجب بينها وبين الله تعالى كالرياء والنفاق والغضب والتكبر والعجب والمكر والخداع والغيبة والبهتان والكذب وخلف الوعد وقطع صلة الرحم وعقوق الوالدين والتبذير والحسد والفحش وسوء الظن وتتبع عيوب الناس واحتقار المؤمن وإذلاله وغيرها من الصفات السيئة.

ثمار التوبة

للتوبة ثمار جليلة في الدُّنيا وفي الآخرة أهمها:

أ. تكفير السيئات ودخول الجنة:

إنَّ التوبة تؤدي إلى إزالة سيِّئات الإنسان من صحيفة أعماله، يقول تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللهِ تَوْبَةً نَصُوحًا عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ**﴾[1].

(١) التحريم ٨.

ب. محبة الله:

إنَّ التائب الحقيقي سوف يحصل على محبة الله تعالى وينال رضاه يقول تعالى: ﴿**إِنَّ اللهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ**﴾[1].

ج. الستر:

إنَّ توبة العبد تؤدي إلى الستر عليه فيأتي يوم القيامة لا يدري بذنبه، يقول الإمام الصادق عليه السلام: «**إذا تاب العبد توبةً نصوحاً أَحَبَّه الله فسَتَرَ عليه، فقلت: وكيف يستر عليه؟ قال: يُنسي مَلَكيه ما كانا يكتبان عليه، ويوحي الله إلى جوارحه وإلى بقاع الأرض أن اكتمي عليه ذنوبه، فيلقى الله عزَّ وجلَّ حين يلقاه وليس شيء يشهد عليه بشيء من الذنوب**».

(١) البقرة ٢٢٢.

الحلقة الثالثة

حُبُّ الدُّنيا

حُـبّ الدُّنيـا

إنَّ الله سبحانه وتعالى لا يجمع حبيّن مستقطبين، فأمّا حُبّ الله، وأمّا حُبّ الدُّنيا.

أما حُبّ الله وحُبّ الدُّنيا معاً فلا يجتمعان في قلبٍ واحد، فلنمتحن قلوبنا، لنرى هل تعيش حُبّ الله سبحانه وتعالى، أو تعيش حُبّ الدُّنيا، فإن كانت تعيش حُبّ الله، زدنا ذلك تعميقاً وترسيخاً، وإن كانت «نعوذ بالله» تعيش حُبّ الدُّنيا، فلنحاول أن نتخلص من هذا الداء الوبيل، ومن هذا المرض المُهلك، يقول رسول الله صلى الله عليه وآله: «**من أصبح أكبر همّه الدُّنيا فليس له من الله شيء**»، هذا الكلام يعني قطع الصلة مع الله، يعني أن ولاءين وحُبّين لا يجتمعان في قلب واحد، من كان ولاؤه للدُّنيا فليس له من الله شيء، وليس له صلة مع الله سبحانه وتعالى، لأنَّ حُبّ الدُّنيا هو الذي يُفرغ الصلاة من معناها، ويُفرغ الصيام من معناه، ويُفرغ كل عبادة من معناها، ولا يبقى أي معنى لهذه العبادات، إذا استولى حُبّ الدُّنيا على قلب الإنسان، فحُبّ الدُّنيا رأس كل خطيئة ومنطلق البعد عن الله سبحانه.

ماهي الدُّنيا المذمومة؟

هنا يجب أن نعرف أية دنيا هي الدُّنيا التي ذمّتها الروايات، لأنَّ الإنسان هو ٱبن هذه الدُّنيا، يحيا فيها ويأكل ويتناسل فيها وقد ورد عن رسول الله صلى الله عليه وآله: «**العبادة سبعون جزءاً أفضلها طلب الحلال**»، فهل المذموم هو ما نراه أمامنا من المأكل والملبس والمسكن؟ أم هو شيء آخر؟

الذي يُستفاد من القرآن الكريم وروايات المعصومين عليهم السلام أنَّ المذموم من الدُّنيا، هو الإستغراق فيها والتعلق بها، بحيث تصبح عائقاً أمام حركة الإنسان نحو الله، وهو ما عبّرت عنه الروايات بـ «حُبّ الدُّنيا» الذي لا يعني مجرد الإستفادة من الأمور الدنيوية، بل أن يرتبط القلب بهذه الأمور وتصبح له علقة شديدة بها، وقد ورد عن الإمام علي عليه السلام: «**إيّاك وحُبّ الدُّنيا فإنَّها أصل كل خطيئةٍ ومعدن كل بليّة**».

الدُّنيا ممر الآخرة

من المناسب هنا أن نبحث في حقيقة الدُّنيا، وهو ما يساعد على توضيح المطلب السابق، يعتقد الإسلام بوجود عالمين: عالم الدُّنيا، وهو الذي نحيا فيه، وعالم الآخرة، وهو الذي نصير إليه، وعالم الدُّنيا ليس إلّا مجرد ممر للآخرة، الدنيا هي المكان الذي نبني فيه آخرتنا، ونحدد

فيه مصيرنا في الآخرة، ولهذا من يدرك حقيقة الدُّنيا هذه فإنَّه لن يركن إليها، بل سيعمل للتزود منها إلى دار البقاء، يقول الإمام علي عليه السلام: «**فإنَّ الدُّنيا لم تُخلق لكم دار مقام، بل خُلِقَت لكم مجازاً لتزوَّدوا منها الأعمال إلى دار القرار**».

نتيجة الرؤية الإسلامية للدُّنيا

إنَّ لهذه الرؤية نتائج عديدة على المستوى العملي، وعلى مستوى تزكية النفس، نُجملها بأنَّ من يحمل هذه الرؤية، فإنَّه سيسعى جاهداً لإقامة علاقة متوازنة بين أمرين:

أ. من خلال الإستفادة من الدُّنيا للآخرة، من جميع الفرص المتاحة له فيها، لزيادة أجره وثوابه في الآخرة، لأنَّها الهدف ودار القرار فعن ٱبن أبي يعفور قال: قلت لأبي عبدالله عليه السلام: «**إنَّا لنُحبّ الدُّنيا، فقال: تصنع بها ماذا؟ قلت: أتزوج منها وأحج وأُنفق على عيالي وأُنيل إخواني وأتصدق، قال** عليه السلام: **ليس هذا من الدُّنيا، هذا من الآخرة**»، حيث قال تعالى في كتابه الكريم: ﴿**قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ**

الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾[1].

ب. إنَّ الرؤية القرآنية للدُّنيا تُبصِّر المؤمن بأنَّ الدُّنيا طريق للعبور إلى الآخرة، فلا بأس بالتمتع ببعض رزق الله في الدُّنيا شرط أن لا تنسَ الآخرة، وأن يكون المرجو في كل عمل رضوان الله تعالى.

أهل الدُّنيا وأهل الآخرة

إنَّ الرؤية السابقة تسهم في التمييز بين فئتين: أهل الدُّنيا، وهم الذين جعلوا الدُّنيا هدفاً، ورضوا بها وأصبحوا عبيداً لها يقول تعالى في وصفهم وبيان مآلهم: **﴿إِنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنُّوا بِهَا وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ ۞ أُولَئِكَ مَأْوَاهُمُ النَّارُ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾**[2].

إنَّ أهل الدُّنيا قلوبهم متعلقة بالدُّنيا منجذبة إليها، وهذه القلوب لن تكون محلاً لنور الله تعالى، يقول الإمام علي عليه السلام: «**حرامٌ على كلِّ قلبٍ متولهٍ بالدُّنيا أن تسكنه التقوى**».

أمّا أهل الآخرة، فهم الذين جعلوا الآخرة هدفاً، وعملوا لها

(١) الأعراف ٣٢.

(٢) يونس ٧ .

ولم ينظروا الى الدُّنيا إلّا كجسرٍ يعبر بهم إلى دار الآخرة، يقول الإمام علي عليه السلام: «**الناس في الدُّنيا عاملان: عاملٌ عمل في الدُّنيا للدُّنيا، قد شغلته دنياه عن آخرته، يخشى على من يخلفه الفقر ويأمنه على نفسه فيفني عمره في منفعة غيره، وعاملٌ عمل في الدُّنيا لما بعدها، فأحرز الحظّين معاً وملك الزادين جميعاً، فأصبح وجيهاً عند الله لا يسأل الله حاجة فيمنعه**».

عن الإمام الصادق عليه السلام أنَّه قال: «**مرّ عيسى بن مريم عليه السلام على قرية قد مات أهلها وطيرها ودوابها فقال: أما أنَّهم لم يموتوا إلّا بسخطةٍ «من الربِّ»، ولو ماتوا متفرقين لتدافنوا**»، فقال الحواريون: «يا روح الله وكلمته، ٱدع الله أن يحييهم لنا، فيخبرونا ما كانت أعمالهم حتى كان هذا جزاءهم فنتجنّبها، فدعا عيسى على شرف من الأرض ربه، فنودي من الجو: أن نادهم، فقام عيسى عليه السلام بالليل فقال: يا أهل هذه القرية، فأجابه منهم مجيب: لبيك يا روح الله وكلمته، فقال عليه السلام: **ويحكم! ما كانت أعمالكم؟** قال: عبادة الطاغوت، وحُبّ الدُّنيا، مع خوف قليل «من الله» وأمل بعيد، وغفلة في لهوٍ ولعبٍ فقال عليه السلام: **كيف كان حُبّكم للدُّنيا؟**

قال: كحُبِّ الصبي لأُمه، إذا أقبلت علينا فرحنا وسُررنا، وإذا أدبرت عنا بكينا وحزنّا، قال عليه السلام: **كيف كانت عبادتكم للطاغوت؟**

قال: الطاعة لأهل المعاصي، قال عليه السلام: **كيف كان عاقبة أمركم؟**، قال: بتنا ليلة في عافية، وأصبحنا في الهاوية، فقال عليه السلام: **وما الهاوية؟**، فقال: سجّين، قال عليه السلام: **وما سجّين؟** قال: جبالٌ من جمر تُوقد علينا إلى يوم القيامة، قال عليه السلام: **فما قلتم، وما قيل لكم؟** قال: قلنا: ردّنا إلى الدُّنيا فنزهد فيها، قيل لنا كذبتم، قال: ويحك! كيف لم يكلّمني غيرك من بينهم؟ قال: يا روح الله، إنَّهم ملجمون بلجام من نارٍ على أيدي ملائكة غلاظ شداد، وإنِّي كنت فيهم ولم أكن منهم، فلما نزل العذاب عمّني معهم، فأنا معلق بشعرة على شفير جهنم، لا أدري أأُكبُّ فيها أم أنجو منها».

ويكفي لمعرفة عظم ذنب حُبّ الدُّنيا أنَّه في هذه الرواية سببٌ للتعجيل بالعقوبة والهلاك الأبدي.

الحلقة الرابعة

تقوى اللّه

تقوى الله

إنَّ تقوى الله تعالى عامل مهمّ لتزكية النفس وتهذيبها، ويترتب عليها آثار مهمة في الدُّنيا والآخرة، يقول تعالى: ﴿**إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللهِ أَتْقَاكُمْ**﴾[١]، وقبل أن نتوسع في الحديث عن التقوى، لا بُدَّ أن نوضّح مفهوم التقوى ومعناها، حيث يمكن تعريف التقوى بأنَّها قوة داخلية وقدرة نفسية تمتلك من خلالها النفس القدرة على إطاعة الأوامر الإلهية، وعلى مقاومة ميولها وأهوائها، ومنشؤها الخوف من الله، وأثرها تجنب معصيته وسخطه، وهي تساعد الإنسان على تجنب حبائل الشيطان وإغراء الدُّنيا، فمما قاله الإمام علي عليه السلام: «**اعلموا عباد الله أن التقوى دار حصن عزيز، والفجور دار حصن ذليل، لا يمنع أهله، ولا يحرز من لجأ إليه، ألا وبالتقوى تقطع حمة الخطايا**».

جزاء التقوى في الآخرة

للتقوى نتائج أخروية جليلة جداً منها: الأجر العظيم، قال تعالى: ﴿**لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقَوْا أَجْرٌ عَظِيمٌ**﴾[٢]، ومنها: إنَّ من يتقي الله

(١) الحجرات ١٣.
(٢) آل عمران ١٧٢.

لا يتسرب الحزن إلى قلبه في الآخرة ولا يخاف عليه، قال تعالى: ﴿**فَمَنِ اتَّقَى وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ**﴾(١)، ومنها: أنَّ التقوى جزاؤها الجنة وهي دليل الفوز، يقول تعالى: ﴿**إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَعِيمٍ**﴾(٢)، وعن الإمام زين العابدين عليه السلام: «**شُرِّفَ كلُّ عملٍ بالتقوى، فازَ من فازَ من المتقين**»، قال الله تبارك وتعالى: ﴿**إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا**﴾(٣).

آثار التقوى في الدُّنيا

إنَّ لتقوى الله تعالى نتائج عديدة في الدُّنيا، من المفيد أن نشير إلى بعضها:

فالتقوى تحفز الإنسان على الأخلاق الحسنة، ولاشك أنَّ الأخلاق لها أثرها في الدُّنيا كما في الآخرة، فعن الإمام علي عليه السلام: «**التقوى رئيس الأخلاق**»، وكذلك أنَّها تبعث الرزق، وتُمكّن الإنسان من تجاوز العقبات والأزمات، والتغلب على مشاكل الحياة، يقول تعالى: ﴿**وَمَنْ يَتَّقِ اللهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا**﴾(٤)، وورد عن أمير المؤمنين عليه السلام ما يوضّح

(١) الأعراف ٣٥.
(٢) الطور ١٧.
(٣) النبأ ٣١.
(٤) الطلاق ٤.

ذلك: «**فمن أخذ بالتقوى عزبت عنه الشدائد بعد دنوّها، وٱحلولت له الأمور بعد مرارتها، وٱنفرجت عنه الأمواج بعد تراكمها، وأُسهلت له الصعاب بعد إنصابها**»، أماعن صحة البدن فقد ثبت وجود علاقة بين نفس الإنسان وبدنه، وأنَّ كلاً منهما يؤثر بنحوٍ ما على الآخر، ولهذا فإنَّ بعض الأمراض البدنية والنفسية قد تنشأ من الأخلاق السيئة، كالحسد، والحقد، والغضب، والطمع، والتكبر، وحُبّ الذات والغرور وغيرها.

فٱلتقوى وٱجتناب الأمور السيئة لها تأثير مهم وأساسي في علاج الأمراض الجسدية والنفسية، وهي تساعد على تأمين سلامة الإنسان من هذه الأمراض، يقول أمير المؤمنين عليه السلام: «**فإنَّ تقوى الله... شفاء مرض أجسادكم وصلاح فساد صدوركم، وطهور دنس أنفسكم**».

تورُّث البصيرة

يُستفاد من عدة آيات وروايات أنَّ تقوى الله تمنح الإنسان بصيرة تمكّنه من معرفة الحقّ لإتباعه، يقول تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَتَّقُوا اللهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا**﴾[1] إنَّ التقوى تداوي القلب وتهبه البصيرة، فيستطيع عندها أن يشخص سبيل سعادته، وأن يتجنّب سُبُل المهالك،

(١) الأنفال ٢٩.

يقول أمير المؤمنين عليه السلام: «**فإنَّ تقوى الله دواء داء قلوبكم وبصر عمى أفئدتكم**»، كما أنَّ أهواء النفس يمكن أن تشوّش على العقل رؤيته، ومن هنا يأتي دور التقوى في علاج ذلك الخلل، فالتقوى هي من يكبح جماح الشهوات فيستعيد العقل قدرته على الرؤية.

طريق التقوى والحرية

إنَّ الإسلام لا يرى في التقوى تقييداً للحرية، بل على العكس من ذلك، يرى أنَّها هي التي تمنح الإنسان حريته من شهواته وغرائزه، يقول أمير المؤمنين عليه السلام: «**فإنَّ تقوى الله مفتاحُ سدادٍ، وذخيرةُ معادٍ، وعتق من كل ملكة، ونجاة من كل هلكة**».

ذهب النبي صلى الله عليه وآله إلى المسجد ليؤدي صلاة الفجر، فلما أتمّ الصلاة بالناس، كان الظلام قد سحب أثوابه خوفاً من أن يحرقها وهج الصباح، ولما أوشك الرسول صلى الله عليه وآله على مغادرة المسجد، إذا بشابّ مصفرِّ اللون قد ضعف جسمه ونحف، وغارت عيناه في رأسه فسأله رسول الله صلى الله عليه وآله: «**كيف أصبحتَ يا فلان؟** فأجاب الشاب: أصبحتُ موقناً يا رسول الله، فتعجب الرسول صلى الله عليه وآله من قوله وقال صلى الله عليه وآله: **إنَّ لكل يقين حقيقة فما حقيقة يقينك؟** فقال الشاب النحيل: إنَّ يقيني يا رسول الله هو الذي أحزنني،

وأَسهر ليلي، وأظمأ نهاري، فزهدت نفسي في الدُّنيا وما فيها، فكأني أنظر إلى عرش ربّي وقد نُصب للحساب، وحُشر الخلائق لذلك، وأنا فيهم وكأنَّي أنظر إلى أهل الجنة يتمتعون في الجنة، ويتعافون على الأرائك متكئون، وكأنَّي أنظر إلى أهل النار وهم فيها معذبون مستغيثون، وكأنَّي الآن أسمع زفير النار يدور في مسامعي، فالتفتَ النبي ﷺ إلى أصحابه وقال: **هذا عبدٌ نوَّر الله قلبه بالإيمان**، ثم أوصى الشاب قائلاً: **ألتزم ما أنت عليه**، فقال الشاب: ادع الله لي يا رسول الله أن أُرزَق الشهادة معك»، فدعا له رسول الله ﷺ فلم يلبث أن خرج في إحدى غزوات النبي ﷺ فاستشهد بعد تسعة أشخاص فكان هو العاشر.

الحلقة الخامسة

مراقبة النفس

مراقبة النفس

بعد أن تعرفنا على أمراض القلوب، وعرفنا بعض العقبات التي تحول دون تهذيب النفس؛ كَحُبِّ الدُّنيا والعصبية، وعرفنا أهمية التقوى ومدى حث الإسلام عليها وربط الأحكام بها، لا بُدَّ لنا بعد ذلك من أن نقدم مرحلة عملية مهمة في بناء النفس، وهي المراقبة والمحاسبة، وتبرز أهميتها بأنَّها العامل الأساس للوصول إلى التقوى وتهذيب النفس.

المراقبة هي أن يراقب الإنسان نفسه عند الخوض في الأعمال في كل حركة وسكون لذلك تكون المراقبة عامل وقاية من الذنوب والأمراض، والمحاسبة هي أن يعيّن الإنسان وقتاً في كل يوم يحاسب نفسه بموازنة طاعاته ومعاصيه العملية منها والنفسية، لذلك تكون المحاسبة عامل علاج من الذنوب والأمراض بعد الأعمال.

أهمية المراقبة والمحاسبة

لكي ندرك أهمية المراقبة والمحاسبة علينا أن نلاحظ الأمور التالية:

أ. تسجيل الأعمال: حيث يُستفاد من القرآن الكريم أنَّ كل أعمالنا، حتى الأنفاس والأفكار والنوايا محفوظة في صحيفة أعمالنا، وتبقى ليوم القيامة لتكون ماثلة أمامنا، وإذا كان الأمر كذلك فكيف يمكننا الغفلة

عن عواقب هذه الأعمال، وعدم المبادرة إلى مراقبة أنفسنا والإنتباه إلى أقوالنا وأعمالنا ونوايانا؟

يقول تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ ۞ فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ۞ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾(١)، وفي آية أخرى: ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا﴾(٢)، وفي آية ثالثة: ﴿مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾(٣).

ب. الحساب على الأعمال يوم القيامة:

إنَّ الحساب يوم القيامة حسابٌ دقيق، حيث لا تُترك صغيرة ولا كبيرة إلّا ويُحاسَب عليها المرء يوم القيامة، يقول تعالى: ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ﴾(٤)، وفي آية أخرى: ﴿وَإِنْ تُبْدُوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللهُ﴾(٥)، ويقول تعالى: ﴿وَوُضِعَ الْكِتَابُ

(١) الزلزلة ٦.
(٢) آل عمران ٣٠.
(٣) ق ٨.
(٤) الأنبياء ٤٧.
(٥) البقرة ٢٨٤.

فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾[1]، إنَّ جميع أعمال الإنسان وأقواله وأفكاره وعقائده تأتي معه يوم القيامة، ليُحَدَّد مصيره يوم القيامة على ضوء هذا الحساب، الذي تختلف مُدَّتِهِ وشدِّتِهِ بين شخص وآخر حيث إنَّ بعضنا يكون حسابه شديداً وطويلاً، وبعضنا الآخر يكون حسابه سهلاً يسيراً، فعن رسول الله ﷺ: «**والذي نفسي بيده إنَّه ليخفف على المؤمن حتى يكون أهون عليه من الصلاة المكتوبة يصليها في الدُّنيا**»، ولذلك كله فإنَّ على الإنسان أن يُكثر من مراقبة نفسه، لتبقى تحت سيطرته.

ثمرة المحاسبة

إنَّ لمحاسبة النفس ومراقبتها نتائج وثمار متعددة نشير إلى بعضٍ منها:

أ. الشعور بالندم والبدء بالإستغفار بشروطه.

ب. التعويض: وذلك من خلال تدارك ما فاته بأمور خيّرة كثيرة

(١) الكهف ٤٩.

ليمحو ما مضى من ذنوبه قال تعالى: ﴿إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ﴾[1].

ج. **التزوّد:** وهو الدخول في كثير من المستحبات والأعمال الفاضلة لتثقيل الميزان يوم القيامة.

ففي وصية النبي صلى الله عليه وآله أنَّه قال: «**يا أبا ذر! حاسب نفسك قبل أن تُحاسَب، فإنَّه أهون لحسابك غداً، وزن نفسك قبل أن تُوزن، وتجهّز للعرض الأكبر يوم لا تخفى على الله خافية**».

كيف نُحاسب أنفسنا؟

إنَّ محاسبة النفس ليست بالأمر السهل، ولا بُدَّ أن تتم هذه العملية في ثلاث مراحل حتى يعتاد الإنسان عليها:

١. المشارطة والعهد:

فيخلو الإنسان إلى نفسه، فيعظها ويطلب منها أن تغتنم عمرها، وبالتالي يأخذ منها العهد بألّا ترتكب المعصية ولا تترك الطاعة، وكذلك يستطيع أن يتوجه إلى لسانه ويحذّره الغيبة، والكذب وبقية المعاصي التي تؤدي إلى إفساد حياته في الآخرة، ويأخذ منه العهد على ألّا يقع في هذه المحرمات، والشيء نفسه يمكن أن يفعله مع بقية الجوارح.

(١) هود ١١٤.

٢. المراقبة:

بعد الإنتهاء من المعاهدة، تبدأ مرحلة مراقبة النفس، من أجل أن نردعها عن محاولة التخلي عن الإلتزام بالعهد، وإنَّ من كان دائماً في حال ذكر الله تعالى، ويرى أنَّه في محضره عزَّ وجلَّ، فإنَّه سيلتفت دائماً إلى نفسه وإلى عهده، ويداوم على مجاهدتها ولا يغفل عنها، يقول الإمام علي عليه السلام: «**إنَّ الحازم من شغل نفسه فأصلحها وحبسها عن أهوائها ولذّاتها فملكها، وإنَّ للعاقل بنفسه عن الدُّنيا وما فيها وأهلها شغلا**».

٣. حثّ النفس وعتابها:

بعد ٱنتهاء المراقبة، يجب أن يحدد الإنسان ساعةً كل يوم من أجل أن يحاسب نفسه، ولعل الوقت الأفضل هو وقت المساء، فيجلس ليرى ما فعله في نهاره ساعة بساعة، فإن فعل خيراً حمد الله تعالى على توفيقه لفعل الطاعة، وإن فعل معصية وبّخ نفسه ونَهَرَها، وأعلن توبته لله تعالى وخاطبها: «**أيتها النفس المحرومة، لقد أعطاكِ اللهُ ما أعطاكِ حتى تصبحي من المقربين، فماذا تفعلين؟ لقد كفرتِ بنعمة الله، وتجعلين نفسك وقوداً لسجّيل؛ فلا يزال يشدد عليها حتى تنزجر**»، يقول الإمام علي عليه السلام: «**من وبَّخ نفسه على العيوب ٱرتدعت عن كثرة الذنوب**».

إنَّ حساب النفس من الأهمية بمكان، فإنَّ الإمام الكاظم عليه السلام

جعله مقياساً لمن ينتمي إلى أهل البيت عليهم السلام، يقول عليه السلام: «**ليس منّا مَن لم يحاسب نفسه في كل يوم، فإن عمل حسناً ٱستزاد الله، وإن عمل سيئاً استغفر الله وتاب إليه**».

وبالتالي إنَّ من يدرك شدة الحساب يوم القيامة فلا بُدَّ أن يسعى لتخفيف حسابه وجعله يسيراً، وهو ما يتطلب أن يحاسب نفسه في الدُّنيا مستفيداً من المشارطة والمراقبة، وهو ما يعني تزكية نفسه وتهذيبها لتبتعد عن المعصية وتقترب من الطاعة وتُقدِم على فعل الخيرات.

الحلقة السادسة

القُرب من اللّه

القُرب من الله

بعد أن تحدثنا عن مراقبة النفس ومحاسبتها وكيف أنَّ المراقبة هي من عوامل تهذيب النفس والسيطرة عليها، سنتحدث لكم عن القرب من الله، وينبغي للمرء بعد أن يزيل أمراض نفسه، أن يسعى لتكميلها وترتيبها، حتى تغدو قادرة على حث الخطى في طريق السير والسلوك إلى الله، ولما كانت طبيعة النفس البشرية في حركة دائمة، وهي إما أن تتحرك في الصراط المستقيم، أو أن تنحرف في طريق الضلال، ولما كان القرب من الله تعالى هو غاية المنى، لا بُدَّ لمن جعل القرب هدفاً أن يسعى لتزكية نفسه، لأنَّه لا قُرب بلا تزكية؛ ومن هنا فإنَّ العبد كلما زكّى نفسه، كلما حاز على درجة من درجات القرب، وإذا ٱرتقى في سبيل القرب، فليس إلّا لأنَّه أفلح في تزكية نفسه وتهذيبها.

السابقون هم المقربون

بعد أن عرفنا معنى القرب، نرجع إلى القرآن الكريم لتحديد من هم المقربون، فنجده يقسّم البشر يوم القيامة إلى فئات:

أ. أصحاب الميمنة: وهم السعداء، وهم الذين كُتبت لهم النجاة من العذاب.

ب. **أصحاب المشأمة**: وهم الأشقياء؛ وهم المعذبون بالنار.

لكي يصل الإنسان إلى درجة القرب الإلهي عليه أن يحقق شروطه وهي عبارة عن المعرفة والإيمان، فإنَّ المعرفة والإيمان بالله تعالى هما أساس التكامل والقرب الإلهي، إنَّ من لا يعرف هدفه، والمصير الذي يؤول إليه، ولا يؤمن بهما، فإنَّه لن يسعى للتزكية والقرب من الله تعالى، وبالتالي فإنَّه لن يقطع مسافة على الصراط المستقيم ؛ وبما أنَّه في الدُّنيا لم يطوِ الطريق فإنَّه في الآخرة لن يجوزَ الصراط، يقول تعالى: ﴿**يَرْفَعِ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ**﴾[1]، وقوله تعالى: ﴿**أَفَمَنْ يَمْشِي مُكِبًّا عَلَى وَجْهِهِ أَهْدَى أَمَّنْ يَمْشِي سَوِيًّا عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ**﴾[2]، إنَّ من لا يعرف الآخرة ولا يؤمن بها، فإنَّه لن يسعى لقطع المسافة على الصراط المستقيم، بل سيضل عنه، ومن يضل عنه في الدُّنيا فإنَّه لن يتجاوزه في الآخرة، ولذا على السالك أن يسعى لتقوية إيمانه وزيادة علمه حتى يرتقي أكثر في مقام القرب يقول تعالى: ﴿**وَإِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ عَنِ الصِّرَاطِ لَنَاكِبُونَ**﴾[3]، لا بُدَّ أن نشير لكم أنَّ ثمّة شرط للقرب وهو العمل المقرون بالإيمان، فإن عمل الإنسان

(١) المجادلة ١١ .

(٢) الملك ٢٢.

(٣) المؤمنون ٧٤.

حتى لو كان عملاً صالحاً فإنَّه لن يثمر تلك الحياة الطيبة إذا لم يكن مقروناً بالإيمان، فالإيمان شرط أساس لوصول الإنسان إلى الحياة الطيبة قال تعالى: ﴿**مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً**﴾[1]، ويعتبر ذكر الله هو أحد الوسائل لتكميل النفس، ولسيرها نحو القرب من الله سبحانه، فإنَّ السير والسلوك إلى الله ينطلق من ذكره تعالى، وإنَّ أكثر ما يساعد السالك على طيّ المسافات، هو المداومة على ذكره تعالى، ولذلك أكَّد القرآن الكريم على حقيقة الذكر، يقول تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا**﴾[2]، وعن الإمام الصادق عليه السلام في رسالةٍ لأصحابه: «**وأكثروا ذكر الله ما ٱستطعتم في كل ساعةٍ من ساعات الليل والنهار، فإنَّ الله أمر بكثرة الذكر، والله ذاكرٌ لمن ذكره من المؤمنين، وٱعلموا أنَّ الله لم يذكره أحد من عباده المؤمنين إلّا ذكره بخير**»، وكان فيما أوصى به رسول الله صلى الله عليه وآله الإمام علي عليه السلام: «**يا علي، ثلاث لا تطيقها هذه الأمة: المواساة للأخ في ماله، وإنصاف الناس من نفسه، وذكر الله على كل حال، وليس هو سبحان الله والحمد لله ولا إله إلّا الله والله أكبر، ولكن إذا ورد على ما يحرم عليه خاف الله عزَّ وجلَّ عنده وتركه**»، وتختلف أحوال السالكين في هذا المقام، فمنهم الكامل

(١) النحل ٩٧.

(٢) الأحزاب ٤١.

ومنهم الأكمل، ويكون الواحد منهم مأنوساً ومتعلقاً بالله بنفس المقدار الذي قطع علاقته بغيره تعالى، لذلك فإنَّ ذكر الله سبحانه وتعالى له آثار على النفس الإنسانية ومن هذه الآثار:

١ـ الإلتزام بطاعة الله:

فـإنَّ من وصل إلى مرحلةٍ يشعر فيها بشكل دائـم بوجود الله وحضوره عزَّ وجلَّ، ووجد نفسه في محضر الله، فسوف يدفعه ذلك إلى الإلتزام بطاعة الله تعالى والعمل بأوامره فعن الإمام الصادق عليه السلام: «**مَن كان ذاكراً لله على الحقيقة فهو مطيع ومن كان غافلاً عنه فهو عاص**».

٢ـ الخضوع والخشوع:

إنَّ من شاهد عظمة الله تعالى سيكون خاضعاً له منكسراً أمامه خاشعاً لديه، يقول الإمام الصادق عليه السلام: «**ومعرفتك بذكره لك، يورثك الخضوع والإستحياء والإنكسار**».

٣ـ عشق العبادة:

إنَّ من آثار الذكر الدائم لله والإحساس بحضوره، التعلق الشديد بالعبادة، لأنَّ من أدرك عظمة الله ورأى نفسه في محضره، رجّح لذّة المناجاة والتضرع والتوسل على أيّة لذة أخرى.

٤ـ السكينة والطمأنينة:

إنَّ الدُّنيا مليئة بالبلاء والآلام والأمراض، وهذه الأمور والخوف منها يسلبان الإنسان راحته وطمأنينته، إذا كان بعيداً عن ذكر الله، يقول تعالى: ﴿**وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا**﴾[١]، أما عباد الله المخلصون، الذاكرون لله الذين تعلقت قلوبهم بمصدر الكمال والخير، فإنَّهم لا يجزعون ولا يضطربون لفقد شيء من حطام هذه الدُّنيا، وهم في سكينة وطمأنينة عند نزول البلاءات الإلهية قال تعالى: ﴿**الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ**﴾[٢].

٥ـ ذكر الله لعبده:

إذا ذكر العبد ربّه فإنَّ الله تعالى سيذكره ﴿**فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ**﴾[٣]، ومعنى ذكره تعالى لعبده أنَّه يصبح محلاً لعنايته ورعايته ولطفه، عن رسول الله صلى الله عليه وآله: «**قال الله تعالى: إذا علمتُ أنَّ الغالب على عبدي الإشتغال بي، نقلتُ شهوته في مسألتي ومناجاتي، فإذا كان عبدي كذلك فأراد أن يسهو حِلتُ بينه وبين أن يسهو، أولئك أوليائي حقاً، أولئك**

(١) طه ١٢٤.
(٢٩) الرعد ٢٨.
(٣) البقرة ١٥٢.

الأبطال حقاً، أولئك الذين إذا أردت أن أُهلك الأرض عقوبةً، زويتها عنهم من أجل أولئك الأبطال».

٦ـ محبة الله لعبده:

من نتائج الذكر محبّة الله لعبده، عن الإمام الصادق عليه السلام: «**مَنْ أكثرَ ذكر الله أحبّه الله**».

٧ـ المعرفة:

قد يصل السالك الذاكر لله إلى حيث يرى الحقائق والمعارف من خلال قلبه وعين بصيرته.

الحلقة السابعة

طُرق الوصول

طُـرق الوصـول

بعد أن عرفنا أهمية القرب من الله سبحانه وتعالى، وضرورة السعي للوصول إلى هذه الدرجة، علينا أن نعرف أنَّ الوصول إليها لا يمكن إلّا عبر طرق يأمن بإتباعها من الإنحراف ويضمن النجاة يوم القيامة، فإنَّ من أراد أن يرتقي في درجات القرب من الله تعالى، وأن يزكّي نفسه وينال المقامات العالية، يمكن له أن يستفيد من الطرق التالية:

١ـ التفكُّر والبرهان:

إنَّ التفكُّر في البراهين التي أقيمت على وجود الله تعالى، يمكن أن تكون عاملاً مساعداً للقرب من الله تعالى، فإنَّ البراهين التي حفلت بها كتب الحكمة والعرفان والكلام، تثبت أنَّ كل ظواهر الكون ممكنة وفقيرة في وجودها لواجب الوجود، الذي هو منتهى الكمال والغنى بالذات، قال تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللهِ وَاللهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ**﴾[1].

٢ـ التفكُّر في الآيات الإلهية:

يرى القرآن الكريم أنَّ كل ظاهرة من ظواهر الكون، تنطوي على

(١) فاطر ١٥.

آيات تدل على الله تعالى وتعرفنا به، ولذلك دعانا القرآن الكريم للتفكُّر في الآيات الكونية، من باب أنَّ التفكر فيها يساعدنا على الإندفاع والسير في طريق التكامل قال تعالى: ﴿**الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ**﴾[1].

٣ـ العبادة والعمل الصالح:

إنَّ العبادة توأم الإيمان والمعرفة، والعبادة والأعمال الصالحة تجعل الإيمان أكثر كمالاً وكلما أصبح أكثر كمالاً كلّما دنا من مقام القرب الإلهي، يقول تعالى: ﴿**إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ**﴾[2].

٤ـ الأذكار والأدعية:

إنَّ الذكر والأدعية من العبادة، وقد ورد التأكيد عليها كثيراً في الآيات والروايات، فعن رسول الله ﷺ: «**لمّا أُسريَ بي إلى السماء دخلتُ الجنة، فرأيتُ ملائكةً يبنون لبنة من ذهب ولبنة من فضة، وربما أمسكوا، فقلت لهم: ما لكم رُبَّما بنيتم ورُبَّما أمسكتم؟ فقالوا: متى تجيؤنا النفقة؟ فقلت لهم: وما نفقتكم؟ فقالوا: قول المؤمن في الدُّنيا: سبحان الله،**

(١) آل عمران ١٩١ .
(٢) فاطر ١٠.

والحمد لله ولا إله إلّا الله والله أكبر، فإذا قال بنينا وإذا أمسك أمسكنا»، وعنه ﷺ أنَّه قال: «**من قال سبحان الله غرس الله بها شجرة في الجنة،** فقال رجل من قريش: يا رسول الله، إنَّ شجرنا في الجنة لكثير، قال ﷺ: **نعم، ولكن إياكم أن ترسلوا عليها نيراناً فتحرقوها، وذلك أنَّ الله عزَّ وجلّ يقول: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ﴾**[1]»، فكلُّ كلامٍ يكون مفهومه تمجيداً وتحميداً وتسبيحاً لله تعالى يكون ذكراً، وإن كانت الأحاديث قد صرَّحت بأذكار خاصة، كما أنَّه يوجد تأكيد على أذكار بعينها، فعن رسول الله ﷺ: «**سَيِّدُ القولِ لا إله إلّا الله**» لكن يمكن القول بما أنَّ الهدف من الذكر توجه الإنسان نحو الله تعالى، ولاشكَّ في أنَّ من يرث الجنة يكون قد فاز بمرتبة القرب من الله سبحانه وكلُّ ذكر يوصل إلى الهدف أكثر يكون أفضل بالنسبة لذاكره.

موانـع الوصـول

ثمة موانع في الطريق، وعلى السالك أن يجاهد نفسه لإزالتها، وإلّا فلن يصل إلى هدفه نذكر منها:

---

(١) محمد ٣٣.

أ. المانع الأول: عدم قابلية القلب:

فالقلب الملوث بالمعاصي والذنوب لا يمكن أن تدخله ملائكة الرحمة، وبالمعصية تسير النفس وتتحرك بعكس السير المطلوب، فلا بُدَّ من تطهير النفس من الذنوب والآثام بالتوبة منها، حتى تصبح هذه النفس قابلة للسير إلى الله تعالى بتلقِّي الإرشادات والإشراقات الإلهية قال الإمام الصادق عليه السلام: «**إذا أذنب الرجل خرج من قلبه نكتة سوداء فإن تاب ٱنمحت، وإن زاد زادت حتى تغلب على قلبه فلا يُفلح بعدها أبداً**».

ب. المانع الثاني: التعلقات الدنيوية المادية:

كالمال والثروة والبيت والجاه وسائر وسائل الحياة، وهذه التعلقات بالمعنى المتقدم في حُبّ الدُّنيا تكون رأس كل خطيئة، إن أنستنا ذكر الله ويوم الوقفة بين يدي الله تعالى للحساب قال صلى الله عليه وآله: «**أول ما عُصي الله تبارك وتعالى بست خصال: حُبّ الدُّنيا، وحُبّ الرياسة، وحُبّ النساء، وحُبّ الطعام، وحُبّ النوم، وحُبّ الراحة**»، وقال صلى الله عليه وآله: «**لا يجد المؤمن حلاوة الإيمان في قلبه حتى لا يبالي من أكل الدُّنيا**».

ج. المانع الثالث: إتباع هوى النفس وميولها وشهواتها:

إنَّ من يسعى ليلاً نهاراً لإرضاء غرائزه وشهواته لا يستطيع أن

يحلّق نحو مقام القدس الإلهي، قال تعالى: ﴿**وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ**﴾[1]، وقال أمير المؤمنين عليه السلام: «**أشجع الناس من غَلبَ هواه**».

د. المانع الرابع: الامتلاء بالأكل:

لأنَّ هذا يمنع من العبادة والدعاء والتوسل والتضرع قال أمير المؤمنين عليه السلام: «**إذا أراد الله صلاح عبده، ألهمه قلة الكلام وقلة الطعام وقلة المنام**» **وعن أبي عبد الله** عليه السلام: «**إنَّ الله يبغض كثرة الأكل**».

هـ. المانع الخامس: الكلام غير الضروري وغير المفيد:

قال صلى الله عليه وآله: «**لا تكثروا الكلام بغير ذكر الله، فإنَّ كثرة الكلام بغير ذكر الله تُقسي القلب، إنَّ أبعد الناس من الله القلب القاسي**»، وقال الإمام الرضا عليه السلام: «**من علامات الفقه: الحلم والعلم والصمت، إنَّ الصمت باب من أبواب الحكمة إنَّ الصمت يكسب المحبة، إنَّه دليل على كل خير**».

و. المانع السادس: حُبّ الذات:

على السالك إلى الله أن يبدِّل حُبّ ذاته بحُبِّ الله، وأن يؤدي كل أعماله بداعي الرضا الإلهي، فيأكل لأنَّ الله سمح له بدوام الحياة كما يصلي لأنَّ الله أمر بذلك...وهكذا.

(١) ص ٢٦.

ز. المانع السابع: ضعف الإرادة وعدم القدرة على التصميم:

وهذا يمنع من البدء بالعمل، والشيطان يعمل جادّاً لإضعاف إرادتنا فيصور عبر الوهم أنَّ العبادة صعبة، أو أنَّ السلوك إلى الله غير مطلوب، أو أنَّ المهم هو العبادة الصورية الخالية من المضمون.

الحلقة الثامنة

حُسن الخُلق

حُسن الخُلق

إنَّ من أهم الطرق لتربية النفس والسير والسلوك ونيل مقام القرب، تربية الفضائل ومكارم الأخلاق في نفوسنا، وللفضائل الأخلاقية آثار جليلة في الدُّنيا والآخرة، ولذا أكَّدت عليها الآيات والروايات، وقد ورد عن رسول الله صلى الله عليه وآله: «**ما يوضع في ميزان إمرىءٍ يوم القيامة أفضل من حُسن الخُلق**»، وقد ورد عنه صلى الله عليه وآله: «**إنَّ أحَبَّكم إليَّ وأقربكم مني يوم القيامة مجلساً، أحسنكم خلقاً وأشدُّكم تواضعاً**».

وقد قال الإمام الصادق عليه السلام حين سُئِل عن حُسن الأخلاق: ما هو حدّ حُسن الخُلق؟ قال عليه السلام: «**تُليّن جانبك، وتُطيِّب كلامك، وتلقى أخاك ببشرٍ حَسَن**».

إنَّ الأخلاق الحسنة كثيرة وعديدة، وينبغي للسالك أن يهتم بها كلّها، لأنَّ لكلٍّ منها أثره وثماره، وعدم الإهتمام بها سيؤدي إلى الحرمان من فوائدها، وسنبّين بعض تلك الأمور الأخلاقية التي تعد ضرورية في حياتنا الإجتماعية، لأنَّ العبادة لا تقتصر في الإسلام على الصلاة، والصيام، والحجّ والزيارة، والذكر، والدعاء، ولا تنحصر بالمساجد والمعابد والمزارات، بل يعتبر القيام بالمسؤوليات الإجتماعية والإحسان وخدمة عباد الله إذا كان مع قصد القربة من أفضل العبادات، حيث

يمكن أن يكون وسيلة لبناء وإكمال النفس والتقرب من الله، فالسير والسلوك في الإسلام لا يستلزم الإنزواء، بل يمكن أن يكون من خلال قبول المسؤوليات الإجتماعية وفي وسط المجتمع، والتعاون في الخير والإحسان، والدفاع عن المحرومين؛ وهناك أمور أخلاقية تعدّ في الإسلام من العبادات الكبيرة، وثوابها أكبر من عشرات الحجج المقبولة المبرورة نذكر منها:

١. لين الجانب:

إنَّ هذه الصفة عظيمة، وهي تعبّر عن وصول الرحمة إلى قلب الإنسان، وقد وصف الله تعالى بها رسوله الكريم صلى الله عليه وآله: ﴿**فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ**﴾[1].

٢. إدخال السرور على المؤمن:

وهو من الأهمية بحيث أنَّ أهل البيت عليهم السلام قرنوا بين إدخال السرور على قلب المؤمن وبين سرورهم، فعن الإمام الصادق عليه السلام أنَّه قال: «**لا يرى أحدكم إذا أدخل على مؤمنٍ سروراً أنَّه أدخله عليه فقط بل والله علينا، بل والله على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم**»، ومن أروع ما نجده في هذا المجال، وصية الإمام الصادق عليه السلام للنجاشي حيث

(١) آل عمران ١٥٩.

يقول فيها: «**يا عبدالله إياك أن تخيف مؤمناً، فإنَّ أبي حدَّثني عن أبيه عن جدِّه، من نظر إلى مؤمن نظرةً ليخيفه بها أخافه الله، يا عبد الله وحدثني أبي عن آبائه عن علي عليه السلام عن النبي صلى الله عليه وآله قال: «نزل جبرئيل عليه السلام فقال: من أدخل على أخيه المؤمن سروراً فقد أدخل على أهل بيت النبي عليه السلام سروراً، ومن أدخل على رسول الله صلى الله عليه وآله سروراً فقد سرَّ الله، ومن سرَّ الله فحقيقٌ على الله أن يُدخله مدخله**».

٣. الرفق والمداراة:

وقد وردت الروايات في الحثّ عليها، فعن رسول الله صلى الله عليه وآله: «**مداراة الناس نصف الإيمان، والرفق بهم نصف العيش**»، وعنه صلى الله عليه وآله: «**رأس العقل بعد الإيمان بالله عزَّ وجلَّ التحُبّب إلى الناس**»، وعن الإمام الصادق عليه السلام: «**جاء جبرئيل عليه السلام إلى النبيّ صلى الله عليه وآله فقال: يا محمد ربُّك يُقرؤك السلام ويقول لك: دارِ خَلقي**».

٤. الكلام الطيب:

إنَّ الكلام اللطيف مع الآخرين هو من مكارم الأخلاق، حتى أنَّ الروايات قد فسّرت حُسن الخُلق به، كما مرَّ معنا في حديث الإمام الصادق عليه السلام.

٥. الصفح عن الآخرين:

وهو من أعظم المكارم، فقد خاطب الإمام الصادق عليه السلام أحد أصحابه بقوله: «**ألا أُحدّثك بمكارم الأخلاق؟: الصفح عن الناس، ومواساة الرجل أخاه في ماله، وذكر الله كثيراً**».

٦. قضاء حاجة المؤمن:

قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «**الخلق عيال الله، فأحبّ الخلق إلى الله من نفع عيال الله، وأدخل على أهل بيتٍ سروراً**».

عن الإمام أبي جعفر الباقر عليه السلام قال: «**تبسُّم الرجل في وجه أخيه حسنة، وصرف الأذى عنه حسنة، وما عُبِدَ الله بشيء أَحَبُّ إلى الله من إدخال السرور على المؤمن**»، وقال الإمام الصادق عليه السلام: «**من سرَّ مؤمناً فقد سرَّني، ومن سرَّني فقد سرَّ رسول الله، ومن سرَّ رسول الله فقد سرَّ الله، ومن سرَّ الله أدخله جنته**»، وعنه عليه السلام: «**لقضاء حاجة إمرءٍ مؤمن أحبُّ إلى الله من عشرين حجة، كل حجة ينفق فيها صاحبها مائة ألف**»، وعنه عليه السلام: «**أيُّما مؤمن قصده أخوه في حاجة، أو مستجيراً به في بعض أحواله، فلم يُعِنه ولم يُجِره، وهو يقدر على ذلك، فقد قطع ولاية الله، وأيّما مؤمن منع مؤمناً شيئاً مما يحتاج إليه، وهو يقدر عليه من عنده أو من عند غيره، أقامه الله يوم القيامة مسودّاً وجهه، مزرقّة عيناه، مغلولة يداه**

إلى عنقه، ويقال له: هذا الخائن الذي خان الله ورسوله، ثمّ يُؤمر به إلى النار»، وقد وردت في هذا الخصوص مئات الأحاديث عن الرسول صلى الله عليه وآله والأئمة الأطهار عليهم السلام، قال الإمام الصادق عليه السلام: «**قال الله عزَّ وجلَّ: الخلق عيالي فأحبَّهم إليَّ ألطفهم بهم وأسعاهم في حوائجهم**».

الحلقة التاسعة

العمل الصالح

العمـــل الصـــالح

إنَّ مما يساعد الإنسان على نيل مقام القرب من الله، العمل الصالح، وهو يدفع بالنفس الإنسانية في طريق التكامل، يقول تعالى: ﴿**مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ**﴾[1]، وقد أكد القرآن الكريم كثيراً على العمل الصالح، وإنَّه الوسيلة الوحيدة لسعادة الإنسان وتكامله، وهذا العمل إما واجب أو مستحب، وقد حُـدِّدَت الواجبات كما حُدِّدَت المستحبات في الشرع الحنيف، ومن الواضح أنَّ الأهـم هو القيام بالواجبات، فإذا فرغ من الواجبات ينتقل إلى المستحبات، فلا يمكن لشخص أن ينال مقام القرب اذا قصّر في الواجبات حتى لو بذل جهوداً مضاعفة في المستحبات، ومن هنا سوف نبدأ بالحديث عن الواجبات، ونشير إلى بعض منها، ثم نتحدث بعد ذلك عن بعض المستحبات، لكن بما أنَّ الإخلاص في العمل مشترك بينهما، ويعد شرطاً أساسياً للقرب، فسنتعرض له ولمراتب العبادة أولاً:

١ـ الإخلاص: إنَّ مقام الإخلاص من أرفع المقامات، وله آثار جليلة جداً ذَكَرَتها الروايات بالتفصيل، يقول رسول الله صلى الله عليه وآله: «**ما أخلصَ عبدٌ**

(١) النحل ٩٧..

أربعين صباحاً إلّا جرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه»، وتلك القلوب المخلصة تصبح مواضع لنظر الله تعالى، يقول الإمام علي عليه السلام: **«أين الذين أخلصوا أعمالهم لله، وطهّروا قلوبهم لمواضع نظر الله»**، وللإخلاص مراتب عديدة، أدناها أن يخلص المرء عباداته من الشرك والرياء والعجب، وأن يؤديها لله تعالى فقط، وهذا المستوى هو شرط لصحة العبادة، فلا تكون العبادة صحيحة من دونه، ولا شكَّ أنَّ نية المرء تؤثر في مصيره يوم القيامة، يقول رسول الله صلى الله عليه وآله: **«إذا عملت عملاً فاعمل لله خالصاً، فإنَّه لا يقبل من عباده الأعمال إلّا ما كان خالصاً»**، ويقول الإمام الصادق عليه السلام: **«إنَّ الله يحشر الناس على نياتهم يوم القيامة»**.

٢ـ مراتب العبادة: ليست العبادة مرتبة واحدة، بل هي تختلف بآختلاف نية الذين يؤدونها، وهم على فئات:

الفئة الأولى: الذين يعبدون الله تعالى خوفاً من عذابه.

الفئة الثانية: الذين يعبدون الله طمعاً في جنته.

هذه الأهداف لا تضرّ بالعمل، وهي توجب القرب الإلهي، وإن كان الذين لديهم هذه الأهداف لا تكون عبادتهم بمستوى الذين يقومون بها لأهدافٍ أسمى.

الفئة الثالثة: وهم الذين يعبدون الله شكراً لنعمه، وهذا القصد هو

أفضل من غيره، يقول الإمام علي عليه السلام: «**إن قوماً عبدوا الله رهبةً فتلك عبادة العبيد، وإن قوماً عبدوا الله شكراً فتلك عبادة الأحرار**».

الفئة الرابعة: الذين يعبدون الله تعالى لتربية أنفسهم وتزكيتها، وهذا القصد لا يضرّ بإخلاص العمل.

الفئة الخامسة: الذين يعبدون الله تعالى لأنَّهم يعرفونه بأنَّه مفيض الخيرات والكمالات، فهو أهل للعبادة وهم يخشعون أمامه ويخضعون له ويحبونه لأنَّهم وجدوه جديراً بأن يُعبد، وهؤلاء هم أفضل من غيرهم، ولا بُدَّ من التأكيد على حقيقة هامة وهي أنَّ الجدّ في العبادة يوصل الإنسان إلى الإخلاص، يقول أمير المؤمنين عليه السلام: «**الإخلاص ثمن العبادة**»، وهنا يكمل الإيمان، فعنه عليه السلام: «**مَن أحبَّ لله وأبغض لله وأعطى لله ومنع لله فهو ممّن يكمل إيمانه**».

٣ـ خير الأعمال:

الصلاة هي من أفضل الأعمال الصالحة التي تدفع الإنسان في طريق القرب من الله تعالى، يقول الإمام الرضا عليه السلام: «**الصلاة قربان كلّ تقي**»، وفي حديث آخر له عليه السلام: «**أقرب ما يكون العبد من الله وهو**

ساجد» وذلك قوله تعالى: ﴿**وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ**﴾[1]، والصلاة هذه هي الصلاة التي تُقبِل فيها على الله، وتؤدّيها بشروطها، ويكون قلبك فيها حاضراً، ولذا سوف نتحدث عن حضور القلب في الصلاة.

٤ـ حضور القلب في الصلاة:

الصلاة تركيبٌ ملكوتي، وهي وسيلة الإتصال بالله تعالى، والتضرع له وذكره، وهي معراج المؤمن وميزان قبول الأعمال، وهي التي تنهى عن الفحشاء والمنكر، وفي كلّ جزء من أجزائها سرٌّ إلهي، لكن بشرط أن يكون فيها روحٌ وحياة، وروح الصلاة حضور القلب والتوجّه إلى الله والخشوع بين يديه، لأنَّ الصلاة بدون قلب، كالجسد من دون روح، فحضور القلب هو روح الصلاة، ومن دونه تكون الصلاة ميتة، وعن رسول الله صلى الله عليه وآله: «**إنَّ من الصلاة لما يُقبل نصفُها وثلثُها وربعُها وخمسُها إلى العشر، وإنَّ منها لما يُلَفُّ كما يُلَفُّ الثوب الخَلِق، فيُضرب بها وجه صاحبها، وإنَّما لك من صلاتك ما أقبلت عليه بقلبك**»، وعن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام: «**لا يقومنّ أحدكم في الصلاة متكاسلاً ولا ناعساً، ولا يفكرنَّ في نفسهِ فإنَّه بين يدي ربِّه، وإنما للعبدِ من صلاتهِ ما أقبلَ عليه منها بقلبه**».

---

(١) العلق ١٩..

الحلقة العاشرة

الجهاد

الجـــهـاد

إنَّ الجهاد لنشر الدين، ولمواجهة الظلم والفساد، من العبادات التي تبعث على تكامل النفس وتزكيتها، وتوجب القربة من الله عزَّ وجلَّ، قال تعالى: ﴿**الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِنْدَ اللهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ ۞ يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُمْ بِرَحْمَةٍ مِنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّاتٍ لَهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُقِيمٌ ۞ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا إِنَّ اللهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ**﴾(١).

منزلة الشهيد

أكّـد القرآن الكريم على فضل الشهداء ومكانتهم وأجرهم ونورهم، يقول تعالى: ﴿**وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ**﴾(٢)، وهذه الآية تبيّن ذلك المقام الشامخ للشهداء، لأنَّ القرآن الكريم لا يصفهم فقط بكونهم أحياء، بل يبيّن أنَّ لهم مقاماً، حيث يحيون في ذلك المقام، ويأتيهم رزقهم فيه، وينعمون بالأجر الوفير، كما أنَّ للشهيد منزلة عظيمة عند الله تعالى، وقد أشارت

(١) التوبة ٢٠.

(٢) آل عمران ١٦٩.

آيات عديدة وروايات كثيرة إلى منزلته، من قبيل أنَّه تُغفر ذنوبه وتُكَفَّر عنه سيئاته، ويكون له المقام الرفيع يوم القيامة، ويكون له أجره ونوره، يقول تعالى: ﴿**وَالشُّهَدَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ**﴾[1].

وفي حديث رسول الله ﷺ: «**للشهيد سبع خصال من الله، أول قطرة من دمه مغفور له كل ذنب، والثانية يقع رأسه في حجر زوجتين من الحور العين، وتمسحان الغبار عن وجهه وتقولان مرحباً بك، ويقول هو مثل ذلك لهما، والثالثة يُكسى من كسوة الجنة، والرابعة تبتدره خزنة الجنة بكل ريح طيبة أيّهم يأخذه معه، والخامسة أن يرى منزله والسادسة: يُقال لروحه اسرحي في الجنة حيث شئتِ، والسابعة أن ينظر في وجه الله وإنَّها لراحة لكل نبيٍّ وشهيد**».

تجارة الجهاد

يُشبّهُ القرآن الكريم القتال في سبيل الله والشهادة بالتجارة مع الله تعالى، إنَّها دعوة للجهاد بإسلوب يبين حقيقته، ويشير إلى نتيجته العظيمة، يقول تعالى: ﴿**إِنَّ اللهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي**

(١) الحديد ١٩.

التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾[١].

إنَّها معاملة تجارية من أروع المعاملات، الطرف الأول هو: الله تعالى الغنيّ عن العالمين، الطرف الثاني هم: المؤمنون بالله واليوم الآخر، الثمن: الجنة الخالدة، المثمن: أنفس المؤمنين وأموالهم، ثم يشير تعالى إلى نتيجة هذه المعاملة: «**وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ**».

إنَّ المجاهد مستعد أن يضحي بأغلى ما لديه في سبيل الوصول إلى هدفه، وهو القرب من الله تعالى والحصول على رضوانه، إنَّ روح المجاهد تضيق بعالم المادة والماديات، وهو يترك كل ما في عالم الدُّنيا من مغريات، إنَّه يريد الوصول سريعاً إلى الله تعالى ليصل إلى مقام اللقاء الخالد، فإنَّكَ عندما تتحدث عن الجهاد في سبيل الله تعالى، تتحدث عن البذل والعطاء، حيث أنَّ المجاهد يعطي من وقته وحياته وراحته في سبيل الله تعالى، وهذا ما يسمى بالبذل، ولو اقتضى أن يضحّي المجاهد بأكثر ممّا يبذل لنفسه صار هذا البذل، يُدعى إيثاراً، قال تعالى: **﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾**[٢].

---

(١) التوبة ١١١.

(٢) الحشر ٩.

«**اللهم لا تردَّني إلى جهلي**»، سَمِعَتْ هذه الجملة من زوجها عمرو بن الجموح، عندما لبس لامة حربه واتجه ليشترك مع المسلمين، في معركة أُحد، كانت المرة الأولى التي يساهم فيها عمرو بن الجموح بالجهاد مع المسلمين، لأنَّه كان أعرجاً وطبقاً للآية الكريمة: ﴿**لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ**﴾[1]، فإنّه كان معذوراً من الجهاد، بالإضافة إلى ذلك، فقد كان له بنون أربعة يشهدون مع النبيّ ﷺ المشاهد، ولم يكن يظنّ أحد بأنَّ عمرو مع ما هو عليه من العذر الشرعي، يحمل سلاحاً ويلتحق بجيش المسلمين للإشتراك في هذه المعركة، لهذا السبب أراد قومه أن يمنعوه فقالوا له: أنت رجل أعرج ولا حرج عليك، وقد ذهب بنوكَ مع النبيّ ﷺ، قال: «**أيذهبون إلى الجنة وأجلس أنا معكم**»، ولمّا لم يجد بدّاً من التخلص منهم، ذهب إلى النبيّ ﷺ وقال: «**يا رسول الله إنَّ قومي يريدون أن يحبسوني عن الجهاد والخروج معك، والله إنِّي لأرجو أن أطأ بعرجتي هذه في الجنة**»، فقال له رسول الله ﷺ: «**أما أنتَ فقد عذركَ الله، ولا جهادَ عليك**»، فقال: «**أنا أعلم يا رسول الله بأنَّ الجهاد غير واجب عليَّ، ولكني مع ذلك أريد الذهاب**»، فقال النبيّ ﷺ لقومه: «**لا عليكم أن**

(١) النور ٦١.

تمنعوه، لعل الله يرزقه الشهادة، فخلّوا عنه»، وكان عمرو بن الجموح يحارب في الرعيل الأول، وهو يعرج في مشيته، وكان يقول: «**أنا والله مشتاق إلى الجنة**» وكان ٱبنه يعدو في أثره حتى قُتِلا، بعد أن حاربا شوقاً بالموت وزهداً في الحياة.

من ذلك نـدرك أنَّ الجهاد هو طريق الوصول السريع إلى الله والحصول على أعلى المنازل وهو الفوز بالجنان لذلك إختارته الثلة المخلصة من المؤمنين.

الحلقة الحادية عشر

العصَبيّة

العصبيّة

إنَّ من أهم الأمور التي ينبغي الإلتفات لها في عملية تهذيب النفس، هي العصبيّة، حيث قد يتحلى الإنسان المؤمن بكثير من الصفات الحسنة والممدوحة، وتبقى هذه الصفة وهي العصبية كامنة في باطنه قبل أن تثيرها الأحداث والمناسبات، فعلى الأنسان المؤمن أن يستثير هذه الصفة، ويلتفت إلى الموقف الذي ينبغي أن يتخذه فيما لو أُبتلي بمورد تتحرك فيه المشاعر التي قد تؤدي إلى العصبية، فماهي العصبية، وما هي آثارها، وما هو موقف الإسلام منها؟

١. تعريف العصبية:

إنَّ العصبية صفة سيئة، تمنع صاحبها من القرب الإلهي، وتحجبه عن رؤية الحقّ، وقد تُلقي به في نارِ جهنم، وهي الدفاع عن جهة أو شخص، بحيث يرى باطلها حقاً، وإن كانوا على باطلٍ، ويرى من يقف في مقابلهم على باطل وإن كانوا مُحقِّين.

٢. العصبية في الرؤية الإسلامية:

حذَّر القرآن الكريم من العصبية، وجعلها من أوصاف الكافرين، يقول تعالى: ﴿إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ﴾[1]،

(١) الفتح ٢٦.

ولذا كان من يتصف بها كأنَّه يتصف بصفة الكفر، وتترتب عليه آثار الكفر يوم القيامة.

وكذلك عن الإمام الباقر عليه السلام: «**مَن كان في قلبه حبةً من خردلٍ من عصبيةٍ بعثه الله يوم القيامة مع أعراب الجاهلية**»، وتفسير هذه السيرة الواردة في الرواية ؛ من حشره مع أعراب الجاهلية؛ لأنَّ هذا المقدار من العصبية حتى لوكان قليلاً إلى هذا الحدّ «**حبة من خردل**»، لكنه من الممكن أن يؤدي بصاحبه إلى جهنم، وأن يخرجه عن الصراط المستقيم، وهو ليس كلاماً على ورق، بل قد حصل ويحصل، وممن حصل معهم إبليس لعائن الله تعالى عليه إمام المتعصّبين، إنَّ إبليس هو أول من تعصّب، وهو إمام المتعصّبين، يستفزّهم في الدُّنيا ويقودهم في الآخرة إلى نار جهنم.

٣ـ إبليس رأس العصبية :

إنَّ من يتعصب فليعلم أنَّ إبليس قد نفخ في أوداجه، لأنَّ العصبية هي ريح إبليس، بغضِّ النظر عمّن يُتعصب له، اذ أنَّ المتعصِّب قد يتعصب لعائلته، أو منطقته، أو عشيرته، أو غير ذلك، وكلّه من العصبية التي مصيرها النار وغضب الجبار، فإنَّ إبليس قد تعصّب لأصله كما يقول أمير المؤمنين عليه السلام: «...**فافتخر على آدم بخلقه وتعصّب**

عليه لأصله، فعدوّ الله إمام المتعصّبين وسلف المستكبرين الذي وضع أساس العصبية»، ويقول عليه السلام: «**أعثَرَتْه (إبليس) الحميّة وغَلَبت عليه الشقوة وتعزّز بخلقة النار وٱستوهن خلق الصلصال**»، وهنا يشير إلى تعصّب إبليس لخلقته النارية، في مقابل خلقة آدم الطينية، حيث نظر إليها بعين التوهين والإحتقار، ويوضح عليه السلام ذلك فيقول في مورد آخر من نهج البلاغة: «**ولقد نظرت فما وجدت أحداً من العالمين يتعصّب لشيءٍ من الأشياء، إلّا عن علةٍ تحتملُ تمويه الجهلاء، فإنَّكم تتعصبون لأمرٍ لا يُعرَف له سببٌ ولا علة، أما إبليس فتعصّب على آدم لأصله، وطعن عليه في خلقته، فقال: أنا ناريّ وأنت طيني، وأما الأغنياء من الأمم المترفة تعصّبوا لآثار مواقع النعم، فقالوا: «نحن أكثر أموالاً وأولاداً وما نحن بمعذّبين**».

٤ـ العصبية المذمومة:

إنَّ هذا التعصب المذموم في الرؤية الإسلامية؛ هو التعصّب الذي يُخرج المرء عن جادّة الصواب، ويتمسّك بعصبيّته حتى لو كان في ذلك نصرة للباطل وٱنتهاكاً للحرام وتجاوزاً للشرع، وإلّا فأنّ مودّة الرجل أهله وأبناء قومه ليست عصبية، فعن الإمام زين العابدين عليه السلام بعد أن سُئِل عن العصبية قال: «**العصبية التي يأثم عليها صاحبها، أن يرى**

الرجل شرار قومه خيراً من خيار قومٍ آخرين، وليس من العصبية أن يحب الرجل قومه، ولكن من العصبية ان يعين قومه على الظلم».

٥ـ العصبية الممدوحة:

نلحظ في كلام المعصومين عليهم السلام إشارة إلى تعصُّب غير مذموم، لكنه في الواقع ليس تعصّباً، بل هو تمسك بالدين، وبأخلاق سيّد المرسلين صلى الله عليه وآله، وهوما نراه واضحاً في حديث أمير المؤمنين عليه السلام: «**فإن كان لا بُدَّ من العصبية فليكن تعصّبكم لمكارم الخصال، ومحامد الأفعال، ومحاسن الأمور، التي تفاضلت فيها المُجَداء والنُجَداء من بيوتات العرب، ويعاسيب القبائل، بالأخلاق الرغيبة والأحلام العظيمة، والأخطار الجليلة، والآثار المحمودة، فتعصّبوا لخلال الحمد من الحفظ للجوار، والوفاء بالذمام، والطاعة للبر، والمعصية للكبر، والأخذ بالفضل، والكف عن البغي، والإعظام للقتل، والإنصاف للخلق، والكظم للغيظ، واجتناب الفساد، في الأرض**»، لذا يجب أن نلتفت إلى هذا المرض الخطير والداء الكبير، فإذا أردنا أن نسعى لمقام القرب، وأن نزّكي أنفسنا، فلا بُدَّ من استئصاله حتى لا نقع في شَرَك إبليس ونكون من جنوده وأعوانه.

الحلقة الثانية عشر

كِتمان السِّر

كِتمان السِّر

سنتحدث أيتها القارئة الكريمة عن كتمان السِّر وأثره في تهذيب النفس الإنسانية.

إنَّ كتمان السِّر من قضايا الأخلاق العملية، التي ينبغي ألّا يُغفل عنها وعن أهميتها من قبل المؤمنين الذين يهتمون بتربية أنفسهم وتزكيتها على مكارم الأخلاق.

إنَّ كل سرّ يؤدي إفشاؤه إلى مفسدة، سواء على المستوى الفردي، أو الإجتماعي، فهذا السِّر يجب كِتمانه من باب حرمة الإضرار بالنفس أو الآخرين أو إيذائهم فلا يُعطى هذا السِّر إلى من يمكن أن تترتب على إعطائه له تلك المحاذير، ولاريب في كون هذا الأمر سوف يؤدي إلى المساعدة على نجاح المؤمنين في أعمالهم العامة الإجتماعية والدينية، مما يؤدي إلى توفير كثير من الأجواء والإمكانيات والعوامل التي تساعد الكثيرين على الأخذ بسبيل التديّن، ما يعني التوجه نحو بناء النفس وتهذيبها والسير في طريق القرب الإلهي، وقد أعطى المعصومون عليهم السلام للكتمان اهتماماً خاصاً، فعن النبي صلى الله عليه وآله: «**اُستعينوا على قضاء حوائجكم بالكِتمان**»، وعن أمير المؤمنين عليه السلام: «**سرُّك أسيرك، فإن أفشيته صرت أسيره**»، وعنه عليه السلام أيضاً: «**جُمِعَ خير الدُّنيا والآخرة في كتمان السِّر**

ومصادقة الأخيار، وجُمِعَ الشَّر في الإذاعة ومؤاخاة الأشرار».

عمّن نكتم السِّر؟

إنَّ كتمان السِّر يجب أن يكون عن:

١ـ الأعداء:

ومنهم المنافقون، فعن الإمام علي عليه السلام: «**كُن من عدوّك على أشدّ الحذر**»، وعنه عليه السلام: «**لا تشاور عدوّك وأستره خبرك**».

٢ـ الأصدقاء:

الذين لا مصلحة ضرورية في معرفتهم بالسِّر، فعن الإمام الصادق عليه السلام: «**لا تطلع صديقك من سرك إلّا على ما لو أطّلع عليه عدوك لم يضرّك، فإنَّ الصديق قد يكون عدواً يوماً ما**»، وعن علي عليه السلام: «**ليس كلُّ مكتومٍ يسوغ إظهاره لك، ولا كلُّ معلومٍ يجوز أن تعلّمه غيرك**».

لكتمان السِّر فوائد عديدة تربوية وعملية فعن الإمام علي عليه السلام: «**الظفر بالحزم، والحزم بإجالة الرأي، والرأي بتحصين الأسرار**»، كما أنَّ انتشار السِّر فيه مخاطر عديدة، فقد جاء عن الإمام الصادق عليه السلام في

تفسير قوله تعالى: ﴿وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾[1] أنَّه قال: «**أما والله ما قتلوهم بأسيافهم ولكنّ أذاعوا عليهم وأفشوا سرّهم فقُتلوا**».

دوافع إفشاء السِّر

هناك دوافع كثيرة قد يكون أحدها أو بعضها السبب لإفشاء السِّر، ومنها: الجهل، وعدم الوعي بعواقب الأمور، والثقة العمياء بالآخرين، أو الضعف في تقوى الله عزَّ وجلَّ.

فقد ذكرنا أنّ إفشاء السِّر قد يترتب عليه أمور عديدة هي في واقعها حرام كالإضرار بالآخرين، والإيذاء وهتك الحرمات وهذه الأمور فيما لو حصلت والعياذ بالله، سيكون من نتائجها الإبتعاد عن ساحة القرب الإلهي، وملء صحيفة الأعمال بأشد الذنوب التي تسوِّد القلب وتسخط الربَّ، من هنا كان على الإنسان المؤمن الذي يهتم بتربية نفسه، وبناء شخصيته، أن يراعي مسألة حفظ اللسان عن المحرمات، والتي من أبوابها عدم مراعاة كتمان السِّر، وقد أشار الإمام الصادق عليه السلام إلى بعض موارده حيث قال: «**لا ترموا المؤمنين ولا تتبعوا عثراتهم فإنَّ من يتبع عثرة مؤمن يتبع الله عزَّ وجلَّ عثرته ومن يتبع الله عثرته يفضحه في**

(١) البقرة ٦١.

بيته».

إنَّ الإنسان يتأثر بأقرانه، سواء من حيث يشعر أو لا يشعر، ولذا إن كان لا بُدَّ من صحبةٍ فيجب أن يكون الأصحاب من الأخيار، الذين يقَّربون من الجنّة ويبَّعدون من النار، من هنا أكدت الروايات كثيراً على اتخاذ الأصحاب من المؤمنين الصالحين، وضرورة الإبتعاد عن قُرناء السوء، لما لذلك من أثرٍ طيّب على المرء في أخلاقه وأعماله، بل وفي دينه، يقول الإمام علي عليه السلام: «**آحذر مجالسة قرين السوء فإنَّه يُهلك مُقارنه ويُردي مُصاحبه**».

وبهذا نكون أختي القارئة قد تناولنا كل ما يتعلق بمكمّلات الروح متمنين لكِ الاستفادة وأخذ العبرة والعظة مما ورد، سائلين المولى العلي القدير أن يكمّل أرواحنا بالإيمان والتقوى والعمل الصالح، وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين والصلاة والسلام على محمد وآله الطيبين الطاهرين.

الفهرس

الحلقة الأولى/ القلب في القرآن..... ٥

الحلقة الثانية/ التوبة..... ١٣

الحلقة الثالثة/ حُبُّ الدُّنيا..... ٢١

الحلقة الرابعة/ تقوى الله..... ٢٩

الحلقة الخامسة/ مراقبة النفس..... ٣٧

الحلقة السادسة/ القُرب من الله..... ٤٥

الحلقة السابعة/ طُرق الوصول..... ٥٣

الحلقة الثامنة/ حُسن الخُلق..... ٦١

الحلقة التاسعة/ العمل الصالح..... ٦٩

الحلقة العاشرة/ الجهاد..... ٧٥

الحلقة الحاديةعشر/ العصَبيّة..... ٨٣

الحلقة الثانية عشر/ كِتمان السِّر..... ٨٩